الاستلاب (PARALYSATION)(*)

الاساس النظري

أ. د. صلاح حميد الجنابي خالد أحمد عيدان

جامعة الموصل – كلية التربية

قسم الجغرافية

ملخص البحث :

حظي الاستقطاب الحضري (Urban Polarization) باهتمام الباحثين في الجغرافية والتخطيط الاقليمي ، واقطاب النمو ، وافرزوا مجموعة ليست قليلة من البحوث .

والاستقطاب هو اسلوب هيمنة تفرزه المراكز الاقليمية على اطارها الاقليمي سواء في مستقراته الحضرية او الريفية ، فضلاً عن موارد الثروة المختلفة. ان هذه العملية تجعل من المدن المستقطبة تتخم بالسكان والمؤسسات الوظيفيةوفي اطارهاالمساحي،وبذات الوقت تتعرض المناطق الخاضعة للاستقطاب الى عملية استلاب في سكانها وخدماتها المركزية وبالتالي في عملية نموها .

ان مستوى الاستلاب يتأثر بجملة عوامل منها : المسافة الفاصلة بين المدينة المستلبة والمدينة الام المستقطبة ،وان هذا المتغير يعمل وفق علاقة عكسية،كما ان امكانية الوصول ، وحجم المدينة المستقطبة ،والمراتب الوظيفية للمدن، هي عوامل مساهمة في وتيرة الاستلاب . والبحث يركز بالدرجة الاولى على وضع الاساس النظري لعملية الاستلاب لتكون معيناً للباحثين في دراسة حالة الاستلاب التي تستشري في غياب التخطيط الاقليمي .

الاساس النظري للاستلاب :

نظراً لمحدودية الكتابة في مفهوم الاستلاب في الادبيات الجغرافية والتخطيطية ،كان لابد من استعراض ما كتب عن ظاهرة الاستقطاب (Polarizationt) لان الاخير هو مفهوم معاكس للاول ،ونال قسطاً وافراً في الادبيات الجغرافية والتخطيطية.

١. مفهوم الاستقطاب (Polarizationt) :

يعرف بودفيل الاستقطاب بانه[١] (ظاهرة تهتم في ايضاح مشاكل النمو والتطور كالابتكارات التقنية والاجتماعية وتطور البنى الاقتصادية اذ بمقدور الاستقطاب التقني والجغرافي ان يؤدي الى التطور او الى الانحطاط والتدهور ، وهذا يتوقف على الازمات الاقتصادية والاجتماعية المصاحبة له في حالة تعجيلها وكبحها او تدميرها لادبيات التطور ، ويقوم الاستقطاب على ايضاح وتطور الثوابت البنيوية فهو تحليل للنظام الذي يتجاوز دراسة الاهداف كي يمتد الى المتغيرات الادارية . ويعد الاستقطاب ظاهرة معقدة يمكن تفكيكها او تجزأتها الى سلسلة من عدة احداث تجري خلال فترات زمنية ،فهو يقدم وصفاً لكيفية ولادة اقطاب التنمية والاندفاعات التي تنبثق عنها في الزمان والمكان) .

وقد عرف الدكتور محمود الكردي ظاهرة الاستقطاب الحضري بما يلي[٢] : (مجموعة من الظواهر التي تنشأ في منطقة معينة وتتمتع بميزات جغرافية واقتصادية واجتماعية وادارية بشكل يكسبها خاصتي الجذب والتأثير في المناطق المحيطة بها القابلة للاستقطاب بحيث تجعلها تتجه اليها دائماً وتعاني هذه المنطقة من تركز في السكان وتكدس في الانشطة (الانتاجية والخدمية) وينجم عن ذلك تأثيرات اجتماعية واقتصادية وجغرافية وادارية في كل مراكز الاستقطاب في المنطقة او المناطق المستقطبة على حدٍ سواء) .

يرجع التاريخ العلمي الاول لاول محاولة جادة لفهم فكرة الاستقطاب الى اكثر من ثلاثة قرون من الزمن ، ففي عام ١٦٦٩م ،حيث تمكن الفيلسوف الدنماركي أ . بارثوينوس (Erasmus Bartholinos) من التوصل الى جوهر فكرة الاستقطاب بصفة عامة وذلك حينما وضع قطعة كبيرة من بللور الكالسيت (كاربونات الكالسيوم المتبلورة) فوق ورقة منسوخة فاذا بالكتابة على الورقة تبدو – من خلال قطعة البللور – وكأنها مزدوجة او مضاعفة كأن ما كتب على الورقة قد استقطب خلال البللور حتى تضاعف عدده(٣) .

وذاع استخدام فكرة الاستقطاب في علوم الطبيعة وبخاصة في الضوء ، فمن الظواهر الضوئية التركز والانعكاس والانتشار والانكسار ،ومن العلوم الاخرى التي اعتمدت على الاستقطاب في تفسير ظواهرها ايضاً علوم الكيمياء وعلوم الحياة والكهربائية والمغناطيسية ووسائل الاتصال(٤) .

ويعد فرانسوا بيرو اول من طرح فكرة الاستقطاب في فرنسا والتي احدثت بدورها صدى كبيراً في مجال البحث العلمي في الوقت الذي كانت فيه اغلب النماذج المطروقة من قبل الاقتصاد الكلاسيكي تتكهن بانتشار النشاطات الانتاجية في السطح الاقتصادي ،واستغرب بيرو ، شأنه شأن كثير من معاصريه، من تركز هذه النشاطات في عدد قليل من المدن الكبيرة وفي الاقاليم العالية التصنيع ،وقد حاول ايجاد تتفسير علمي لتركز هذه النشاطات من خلال طرحه عن فاعلية الاستقطاب(٥) .

وتؤكد فكرة الاستقطاب على ان النمو يتركز في مواقع مكانية متعددة وفي فروع صناعية رئيسة ولهذا فقد ارتبطت هذه الفكرة بالصناعات الرئيسة ، وان المفاهيم والفرضيات الاساسية التي عرضها بيرو لفكرة الاستقطاب تجيب على الاسئلة الاتية(٦) :

١. ما هي صفات ومميزات الصناعة الرئيسة .

٢. ماهي صفات التركيب الصناعي .

٣. ماهي العلاقات المتداخلة المكانية والقطاعية بين الصناعة الرئيسة والتركيب الصناعي .

٤. ماهي العلاقات المتداخلة بين نمو القوى الصناعية المستقطبة ونمو القطر.

٢. النظريات التي عالجت مفهوم الاستقطاب :

٢ -١ : نظرية المجال الاقتصادي :

يعود الفضل الكبير في ظهور هذه النظرية الى الاقتصادي السياسي الفرنسي بيرو (Perroux) ، عندما نشر في سنة ١٩٥٠ مقالته الشهيرة (المجال الاقتصادي نظرية وتطبيق) (Economic Space, Theory and Application) ، وقد اكد بيرو على الطبيعة غير المحلية للمشروع ، مرجحاً ان يرى او ان يدرس المؤسسة او المشروع الاقتصادي بما اطلق عليه بـ (المجال الاقتصادي المجرد) (Abstract Economic Space) ، والذي عني به على انه مجال عمل المشروع الاقتصادي وشكل فعالياته ومجال تأثيره وتأثره دون التقيد باطار مكاني محدد(٧) .

وقد ميز بيرو ثلاثة انواع من الحيز الاقتصادي للمشروع وهي(٨) :

٢ - ١ -١. حيز خطة المشروع :

ويقصد به مجموعة العلاقات القائمة بين المشروع والمشاريع الاخرى من حيث المدخلات (Inputs) والمخرجات (Outputs) ويمكن تحديد حيز الخطة من خلال تحليل الجداول للمدخلات والمخرجات .

٢ - ١ - ٢ . حيز مجال قوى المشروع .

ويقصد به تأثير المشروع من حيث قوته الجاذبية للموارد والعوامل الانتاجية ومن حيث قوته لدفع بعض المتغيرات التنموية للمناطق المجاورة للمشروع. ان الحجم الانتاجي للمشروع يقرر قوة جذب المشروع للمدخلات، فلو زاد الحجم الانتاجي فان ذلك يؤدي الى زيادة جاذبية المشروع للمدخلات ، ومقابل الجاذبية قوة طاردة اخرى تدفع ببعض الاستثمارات الى اماكن انتاج المدخلات لرفع انتاجيتها وذلك لتلبية حاجة المشروع من هذه المدخلات ، وهذا يعني انه كلما زاد الحجم الانتاجي للمشروع يكون ذا قوة عالية على استقطاب عوامل الانتاج الى المدينة التي يقع فيها وبذلك تكون هذه المدينة ذات قدرة استقاطبية عالية مع زيادة عدد المشاريع الانتاجية فيها .

٢ -١- ٣ . الحيز المتجانس .

وهو الحيز الذي يمثل المشروع بالمشاريع الاخرى المشابهة له من حيث المنافسة على الاسواق وهذا الحيز يرتبط بكلفة الانتاج والنقل ، مثلاً اذا تساوت كلفة الانتاج والنقل الى الاسواق لبعض المشاريع ، فان هذه المشاريع تقع ضمن حيز اقتصادي متجانس .

وقد استفاد من هذه الفكرة فتر (Fetter) في تحديد مجال تحديد المدن المتنافسة على اطار مكاني معين، وقد رسم نظريته على أساس ثلاث حالات[٩] :

أ. الحالة الاولى :

عندما تتساوى تكاليف الانتاج والنقل في المدينتين كما تتساوى كافة المتغيرات ، عند ذاك يكون خط التأثير خطا مستقيماً يفصل بين المدينتين في موقع متوسط .

ب. الحالة الثانية :

عندما تكون تكاليف الانتاج ثابتة بينما تكون تكاليف النقل مختلفة بين المدينتين ، عند ذاك يكون مجال التأثير اقرب الى المدينة التي تكون تكاليف النقل اعلى .ويكون خط مجال التأثير بشكل قوس مائل باتجاه المدينة ذات التكاليف النقلية العالية .

جـ. الحالة الثالثة :

عندما تكون تكاليف الانتاج مختلفة بين المدينتين بينما تكون تكاليف النقل ثابتة ،عند ذاك يكون مجال التأثير اقرب الى المدينة ذات تكاليف الانتاج العالي وبشكل قوس مائل باتجاهها .

٢ -٢ . نظريات النمو غير المتوازن

(Unbalanced Growth Theories):

في اوائل الخمسينيات من القرن الماضي حاول كل من ميردال وهيرشمان كل على حدة صياغة اسس نظرية لاشكال ومديات التأثير الجغرافي للنمو بافتراض ميكانيكية الانتقال المكاني لمؤثرات التنمية وعلى اعتبار ان عملية التنمية الاقتصادية هي اساساً عملية غير متوازنة تتزايد من خلال سلسلة من العلاقات المكانية والاقتصادية(١٠) .

اي ان عملية التنمية تنشأ وتنمو في منطقة معينة وبعد ذلك تبدأ بجذب عوامل التنمية اليها من الاقاليم والمدن المجاورة فتكون هذه المدينة ذات قدرة استقاطبية للعوامل التي تساعد وتزيد من عملية التنمية .

ولقد اوضح ميردال (Myrdal) وهو الباحث الذي تمتد خبرته الفنية وتحليلاته الرائدة للمشاكل الاقتصادية في التكامل الاقتصادي العالمي وجوهر فكرته عن النمو غير المتوازن بمتواليته التي اطلق عليها مسببات التراكم

(Circular and Cumulative Causations) وطبقاً لمفهومه فانه ليس هنالك ما يحقق النجاح كالنجاح نفسه وان التطور يقود الى المزيد من التطور . واذا ما بدأ النمو والتطور في اقليم معين فان عناصر النجاح والتطور من رأس مال وعمالة مدربة وخبرة كفوءة سوف تتجه الى هذا الاقليم من الاقاليم الاخرى الاقل تطوراً ، ويفترض ميردال في متواليته ان هناك قوة مركزية جاذبة (Centripetal Force) ، اطلق عليها التأثيرات المنتشرة (Spread Effects) . وهي القوى المنطلقة من مركز النمو الاقتصادي نحو الاقاليم الاخرى مسببة زيادة الطلب والدخول والاستثمارات والانتاج بشكل مادي وواضح لصالح المركز (١١) .

وهذه القوى المنطلقة سوف تزيد من عملية التنمية في هذا الاقليم وتكون بمثابة عامل جذب للاقاليم الاخرى او المدن والهوامش المجاورة .

اما بالنسبة لهيرشمان (Hirschman) ،فانه على الرغم من عدم تماثل طروحاته مع متوالية سلبيات التراكم لميردال ، غير انه كان مقتنعاً ايضاً بان هناك قوانين في العملية التنموية مدركاً لاهمية المؤثرات التي اطلق عليها المؤثرات المنتشرة .

وعلى الرغم من ان نظرية النمو غير المتوازن تبقى رائدة في كشف العلاقة المتبادلة بين المركز وحيزه الجغرافي ، الا انها تبقى نظرية غير جغرافية وذلك لعدم قدرتها على تمثيل المواقع الجغرافية للمراكز او الاقطاب ضمن الحيز الجغرافي ، واول من حاول تطبيق فكرة النظرية في اطارها الاقليمي هو بودفيل حيث اشار الى ان الحيز الجغرافي يرتبط بحيز غير جغرافي ،يوضح له متطلبات العمليات الاقتصادية لذا اقترح بودفيل ثلاثة انواع من الاقاليم او الحيز الجغرافي وهي :

٢ -٢- ١. الاقليم المتجانس :

ويعرفه بودفيل بوحدات مساحية متجاورة تتجانس في الخصائص مثل القوة الشرائية والدخل الفردي او الكلفة الانتاجية للمشاريع ،، وفكرة الاقليم المتجانس وردت في دراسات سبقت بودفيل ففون ثونن (Von Thunen) في نظريته الدولة المعزولة (Isolated States) افترض مسوحاً جغرافية للمدينة واطارها الاقليمي صفة التجانس التام ،كما ان والتر كرستالر (W. Chrestaller) في نظرية المكان المركزي (Central Place Theory) والتي طبقها في اقليم بفاريا في جنوب المانيا افترض صفة التجانس في مسرحه الجغرافي الذي اخضعه للدراسة واستنبط نتائجها(١٢) .

كما ان كلا الباحثين لم يقتصرا في صفة التجانس على الخصائص الجغرافية الطبيعية وانما على المتغيرات السكانية كتوزيعهم ومستوياتهم الاقتصادية وعلى قدراتهم الشرائية .

٢ -٢- ٢. الاقليم المستقطب :

وهو عبارة عن منطقة نفوذ القطب التنموي والتي تحدد عن طريق كثافة المبادلات (تجارية او حركة السكان او رأس المال) بينه وبين الاقطاب الاخرى . وتتناقض كثافة المبادلات عادة بزيادة المساف في القطب التنموي السائد ثم تزداد ثانية كلما نقصت المسافة من قطب الى اخر ، فالحدود ترسم بين هذين القطبين حيث تصبح كثافة المبادلات اقل ما يمكن وقد تصور بودفيل الاقطاب التنموية في منظومة تراتبية من المدن تمتد من اكبر مدينة حتى اصغر تجمع بشري قائم ، ولكل مدينة نفوذ تشتمل عدد من المدن التابعة ولكل منهما مناطق نفوذ تشتمل عدد من القرى . وهذه الفكرة تناولتها الدراسات الجغرافية الحضرية عندما اشارت الى ان تأثير المدينة يضعف مع زيادة المسافة وقد اطلق على هذا المتغير بقانون تدهور المسافة. وقد وردت اشارات له في نظرية التفاعل ومشتقاتها ، كما

ان الدراسات التي تناولت المراتب الحجمية ونظرية المكان المركزي قد اكدت الى ان هناك اطراً اقليمية متراتبة للمدن تتناسب احجامها طردياً مع حجم المركز الحضري .

٢ -٢- ٣. الاقليم التخطيطي :

عبارة عن اقليم مبرمج يحدد طبقاً لسياسة وضعت للوصول بهذا الاقليم الى مستوى تنموي معين مثل خطط تنمية الاحواض النهرية ، وهذا النمط من الاقاليم برز الى السطح بعد ان اخذ التخطيط دوره في عملية التنمية . وقد عزى ذلك الى طبيعة العلاقة بين المراكز والهوامش حيث تعمل هذه العلاقة لصالح المراكز على حساب الهوامش ، وفي سنة ١٩٧٢ طور فريدمان نظريته من خلال تركيزه على عملية التجديد (وسائل انتاج جديدة وافكار ومفاهيم جديدة) وينتقل التجديد من المراكز الى الهوامش ، مما يعمل على تنمية الهوامش ، وقد تصور المراكز التنموية ضمن منظومة تراتبية من المدن تمتد من المستوى المحلي الى المستوى الاقليمي ثم الى المستوى القطري ،ويرى فريدمان ان التنمية على المستوى القطري تمر في اربع مراحل هي :

٢ -٣ -١. مرحلة ما قبل التصنيع :

حيث يتميز القطر في هذه الفترة بضعف شبكة المواصلات ، مما يترتب عليه انعدام او قلة الترابط بين اقتصادياته الاقليمية ،ويكون لكل اقليم في هذه المرحلة مركزاً مستقلاً يتميز بضعف اتصالاته مع هامشه ولكن على الرغم من ذلك تكون الحركة باتجاه المركز ويكون بدرجة استقطابية عالية .

٢ -٣ -٢ . المرحلة الانتقالية :

وفيها تتحسن شبكة المواصلات وتبدأ عملية المنافسة بين الاقاليم بحيث تؤدي الى ظهور بعض التخصصات الاقليمية ومن ثم ظهور بعض التكامل الاقليمي ويصبح لكل اقليم مركز اداري وتجاري خاص به ، ويكون بمثابة

مستقطب لهذ الاقليم .

٢ -٣- ٣. المرحلة الصناعية :

وفيها تترابط المراكز الاقليمية بالمراكز الثانوية في الاقليم ومن ثم تنتشر التنمية من المراكز الاقليمية الى المراكز الثانوية ، وبذلك تكون المراكز الثانوية ايضاً ذات قدرة على الاستقطاب وخاصة لهوامشها القريبة منها .

٢ -٣ -٤ . المرحلة النهائية :

في هذه المرحلة تتراتبط المراكز الثانوية بهوامشها ومن ثم تتسرب التنمية لهذه الهوامش بحيث تشكل الحيز الاقتصادي للقطر على شكل نظام حضري ذي اعتمادية وظائفية متبادلة ، وقد اطلق فريدمان على هذا النظام اسم (مصفوفة الاقاليم الحضرية) .

فضلاً عن ما تقدم فقد اثارت ابحاث عدة الى المظاهر الدالة على الاستقطاب الحضري لمنطقة الشرق الاوسط والدول النامية فقد اشار جون كلارك (١٩٧٩) الى انه مما زاد من حدة التباين بين المدن الكبيرة وضواحيها ان عملية التحديث ساهمت في الشرق الاوسط بشكل ملموس في عملية التحضر ، كما تهيأ للمراكز الحضرية من ظروف جعل من السهل انفاق ايرادات النفط الضخمة فيها فضلاً عن انجذاب الصناعة نحوها(١٤) . ومن خلال ذلك يظهر ان معظم المدن في الدول النامية تتأرجح في المراحل الثلاث الاولى ، وقد تستقر بعض المدن في المرحلة الثالثة بعد ان شهدت المرحلة الانتقالية في ضوء برامج التنمية الاقليمية التي اعتمدتها بعض الدول النامية للارتقاء بمستوياتها الاقتصادية والاجتماعية .

وقد مارس القطر العراقي برامج التنمية الاقليمية اعتباراً من سبعينيات القرن الماضي على يد خبراء الامم المتحدة وايرسنغ وزرامبا والشركات الاستشارية امثال دوكسيادس ويولسيرفس والباحثين العراقيين المتخصصين مثل نعمان الجليلي وفلاح جمال معروف العزاوي وغيرهم(١٥) .

٣. مفهوم الاستلاب :

يقصد بالاستلاب لغة الاختلاس ، سلبت الشيء سلباً[١٦] ، وترجمة المصطلح بالانكليزية (Paralysis) ، اي انه عكس الاستقطاب .

واصطلاحاً ، هو صورة سلبية من صور الهيمنة الحضرية ،وهو رد فعل عال المستوى لعملية الاستقطاب ونعني به عملية افراغ محتوى التنمية من المراكز الحضرية التي تقع عند تخوم المدن الكبرى او عند ظاهرها وتبرز باجلى صورها في المناطق الواقعة خارج اطار التخطيط الاقليمي المتكامل ، وترتبط فضلاً عن ذلك بمقدار المجتمع ومستويات تخطيطه، ويكون عالي المستوى في الاقطار النامية نظراً لضعف عنصري السيطرة المركزية والتخطيط الاقليمي .

ولتوضيح فكرة الاستلاب فقد وردت في النظريات السابقة الذكر العديد من الاشارات والملاحظات التي نوهت ضمنا الى عملية الاستلاب ولكن التركيز عليها كان قليلاً وذلك لان النظريات كانت نظريات تنموية ولان عملية الاستقطاب عملية تنموية تدفع بالمدن او المراكز التنموية الى التطور ، اما عملية الاستلاب فانها تحدث نتيجة رد فعل معاكس لعملية الاستقطاب حيث كلما كانت درجة الاستقطاب عالية كلما كانت عملية الاستلاب واضحة خاصة في المراكز الهامشية القريبة من المدن او المراكز التنموية الرئيسة حيث ان تأثير عملية الاستقطاب يتدهور مع المسافة ، فكلما ابتعدنا عن المراكز الاستقطابية يضعف بريقها ،وقد ادرك بيرو في نظرية المجال الاقتصادي نوعين من القوى ويقصد بها الادوات التي تمد بها المؤسسة الاقتصادية نفوذها الاولى وهي القوى الجاذبة الى المركز (Centripetal Forces) كجذب العمالية والموارد ، واخرى طاردة من المركز (Centrifugal Forces) ، وان لكل مركز له هذه القوى ، له بالضرورة ميدانه الخاص في محتوى المجال الاقتصادي الذي يضم عدداً من المراكز ، والقوى التي تخيلها بيرو هي قوى اقتصادية[١٧] .

وعملية جذب هذه تؤدي الى تفريغ المراكز المجاورة من العمالة ورؤوس الاموال والخبرات الفنية وجميع عوامل الانتاج حيث انه بلا شك سوف تتجه الى المركز المتطور تاركة وراءها المراكز المتخلفة تزداد تخلفاً .

وقد ادرك بيرو ان اي مؤسسة صناعية ذات استحداثات اقتصادية كفوءة يمكن ان تعمل بوصفها بؤراً للتنمية في مجال مكاني كما تلعبه في مكان مجرد . وقد انطلق بيرو من حقيقة ادراكه وفهمه على ان الاستحداثات عاملة مهم في ظهور ونمو قطاعات واقطاب متباينة في الاقتصاد ويضيف مفترضاً بان التنمية الناتجة سوف لا تحدث اينما كان وعلى دفعة واحدة وانما تحدث نقاط (اقطاب) متناسبة مع قوة وشدة المتغير المستحدث . وان اكثر الفعاليات تغيراً تحدث من خلال الوحدات الاقتصادية الكبرى القادرة على الهيمنة وعلى وسطها بالفعالية الخاصة لاحجامها وقوتها وطبيعة عملياتها[١٨] . حيث ان المراكز الاستقطابية الكبيرة الحجم ذات قدرة عالية على الهيمنة على مناطق ظهيرها واستلاب سكانها وعوامل الانتاج فيها . وان هذه الهيمنة التي تفرضها المراكز الاستقطابية تكون في اجلى صورها على مناطق التخوم ثم تتدرج سلباً بالبعد عن المركز الاستقطابي، اي ان عملية الاستلاب تكون على المدن القريبة في اعلى مستوياتها مما يسبب افراغاً لمؤسساتها الوظيفية وسكانها ، وان الاستلاب لا يطال المراكز الحضرية وحدها وانما يتجاوزها الى اطارها الاقليمي مما يجعل تأثير هذا الاستلاب يطال الاهمية الوظيفية والسكانية المستلبة واهميتها المركزية باعتبارها نقطة مركزية داخل اطارها الاقليمي .

وتعد الفعالية الصناعية من اكثر الفعاليات التي تفرض فيها المدينة الكبرى هيمنتها على اطارها الاقليمي ومن ثم على استلابه .

وقد اشار بيرو (Perox) بان المميزات الاساسية للمؤسسات الصناعية المستحدثة هي بفعالياتها المتميزة التي تضمن لها القدرة على وسطها الاقتصادي

وذلك بخلق انماء وتراكم لصالح هذه الاستحداثات في النواة وسرعان ما تتجمع حولها مجموعة فعاليات اخرى وتشكل مركباً صناعياً متكاملاً(١٩) .

وهذا يعني ان استحداث صناعة معينة في مدينة ما تكون بمثابة عامل جذب للصناعات الاخرى القابلة للاستقطاب في المدن والاقاليم المجاورة ومن ثم فان عملية استحداث هذه الصناعة سوف يؤدي الى ان تخسر المدن المجاورة الصناعات التي كانت قائمة بها وان تتجه نحو الصناعة المستحدثة ، هذا بالنسبة للدول الصناعية المتطورة ، اما في الدول النامية فان عملية الاستلاب لا ترتبط قسراً بالفعالية الصناعية لضعفها ولكن حتى تواجدها القليل يكون مؤثراً في بروز هذه العملية يضاف اليها ان مستويات الخدمات الادارية والوظيفية والخدمية تكون في اعلى مستوياتها في المراكز الاستقطابية ، فكلها تشكل حوافزاً على حركة السكان والفعاليات الاخرى من المراكز المستلبة الى المركز المستقطب .

اما نظرية النمو غير المتوازن لهيرشمان وميردال فقد اوضح رائداها ان عملية التنمية الاقتصادية هي عملية غير متوازنة ، حيث ان نمو منطقة معينة يجعل من المناطق الاخرى اسواقاً لها وعلى اعتبار ان قوى السوق ستعمل على زيادة التباين الاقليمي اكثر مما تنقصه او تقلله(٢٠) .

ولقد اوضح ميردال ان عملية هجرة رؤوس الاموال والعمالة المدربة والخبرة الكفوءة من الاقاليم الاقل تطوراً الى الاقاليم الاكثر تطوراً سوف يؤدي بالنتيجة الى خسران الطرف الاول الاقل تطوراً لمزيد من عناصر التطور لصالح الطرف الثاني الاكثر تطوراً(٢١) .

وبعبارة اخرى يخلق مراكز استقطابية وبذات الوقت يخلق مراكز مستلبة.

وتحدث هذه الهجرة بسبب التباين في التطور بين الاقاليم حيث ان الاقليم المتطور يقوم باستقطاب عوامل الانتاج اليه من المدن والهوامش او الاقاليم

المجاورة ، ومن ثم فان الاقليم المستقطب سوف يزداد في تطوره ، والاقليم المستقطب (المستلب) سوف يزداد في تأخره ويصبح اقليماً تابعاً للاقليم الاول .

ويفترض ميردال في نظريته ان هناك قوة لا مركزية اطلق عليها المؤثرات المرتدة (Backward Effects) ، وتنتج هذه القوى عن العجز في عناصر التطور في الاقليم ، حيث ان الطلب على رأسمال الاستثمار في هذه المناطق يبقى ضعيفاً نسبياً حتى في حالة مقارنته مع حجم المدخرات القليلة اساساً والناتجة اصلاً عن ضعف مستوى الدخول ، ويضيف ايضاً انه ليس هناك ما يحقق النجاح كالنجاح نفسه ، فالاقاليم المتطورة (المستقطبة) تزداد في تطورها، والاقاليم المتأخرة (المستلبة) تزداد في تأخرها(٢٢) .

اما بالنسبة لهيرشمان فعلى الرغم من عدم تماثل طروحاته مع ما قدمه ميردال ، الا انه كان مقتنعاً ايضاً بان هناك قوانين في العملية التنموية مدركاً لاهمية المؤثرات التي اطلق عليها مؤثرات الاستقطاب (Polarization) في مقابل المؤثرات المرتدة (Backward Effects) التي استعملها ميردال فضلاً عن ذلك فقد افرد دوراً مهماً للسياسة الاقتصادية المكانية للحكومة بوصفها قوة ضرورية لاعادة التوازن وتقليل التفاوت الاقتصادي المكاني(٢٣).

وقد دعى الى ذلك بسبب تركيز النشاط في بؤر تطورت ونمت ومناطق الظهير التي فقدت اهميتها وافرغت من قدراتها التنموية الامر الذي زاد من مركزية قوى الاستقطاب واضعف المركزية من مناطق الظهير ،ولهذا السبب كانت الدعوة قائمة لاعادة التوازن .

اما فريدمان فيرى في نظريته نظرية المراكز والهوامش ان هناك اختلافاً في عملية التنمية بين المراكز والهوامش وهذا الاختلاف يعود الى طبيعة العلاقة بينهما ، فتنمو المراكز على حساب الهوامش وبالتالي تزداد المراكز تضخماً كما تزداد تخلفاً لانها واقعة تحت تأثير الاستقطاب العالي للمراكز ولذلك تكون مستلبة

دائماً باتجاه المركز . وهنا دعى فريدمان الى تغيير طبيعة العلاقة بحيث تعمل على تقوية الانتشار التنموي من المراكز الى الهوامش وذلك من خلال الربط التكاملي بين النشاطات الاقتصادية للمراكز والهوامش(٢٤) .

وكانت دعوته هذه لكي يتم القضاء على عملية الاستلاب التي تتعرض لها الهوامش ، ولكي تنتشر عملية التنمية بشكل متكامل في جميع انحاء الاقليم .

واشار فريدمان في تقسيمه لمراحل التنمية ضمناً الى عملية الاستلاب ، ففي مرحلة ما قبل التصنيع او المرحلة الاولى تكون شبكة المواصلات ضعيفة بين المركز والهوامش ، وعلى الرغم من ذلك فان الحركة تكون باتجاه المركز ، حيث يستلب المركز موارد الهامش مما يعمل على زيادة التباين بينه وبين هامشه.

وفي المرحلة الثانية مرحلة الصناعة ازدادت عملية الاستلاب بتوفر خطوط النقل مما يؤدي الى نمو هذه المدن على حساب المدن والارياف المجاورة، وتزداد مساحتها ويزداد عدد سكانها بشكل ملحوظ وسريع على حساب المدن والارياف المجاورة .

وفي المرحلة الثالثة وبسبب تحسن وسائل الاتصال بتأثير عملية التصنيع فان عملية التنمية تنتشر الى المراكز الثانوية ،ولكن تبقى هناك مناطق واقعة تحت تأثير الاستلاب لدى المراكز الثانوية .

اما المرحلة الرابعة فهي مرحلة ذات دافع تخطيطي واذا ما تركت متغيرات التنمية تجري وفق متطلبات السوق دون سيطرة مركزية فانها ستكون مرحلة نظرية اكثر مما هي تخطيطية .

الهوامش :

1. J. R. Boudeville. A Menagement duterritative et polarization Editions. M.th. Gemin libaries Techinques, 1974 , P. 153 .

٢. محمود الكردي . النمو الحضري ،دراسة لظاهرة الاستقطاب الحضري في مصر ،دار المعارف ،مصر ،ط٢ ، ١٩٨٠ ، ص٦٤ -٦٥ .

٣. المصدر نفسه ، ص٥٩ .

٤. نفس المصدر السابق ، ص٦٠ .

٥. صلاح حميد الجنابي ،ندى محمود الحجار .الاستقطاب مفهوم وقياس ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد ٤٥ ، ٢٠٠٠ ، ص٢٦٠ .

٦. صباح محمود محمد.الحيز الاقتصادي، مفهومه وانواعه وعلاقته بالدراسات الجغرافية ،مجلة كلية الاداب ،جامعة بغداد ، العدد ١، مجلد ١ ، دار الجاحظ، بغداد ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، ص٥٧٨ - ٥٧٩ .

٧. فلاح جمال معروف العزاوي . تحليل لتطور مفهوم اقطاب النمو ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد ٢١ ، ك١، بغداد ،١٩٨٧، ص ص٢٤٠ -٢٤١ .

٨. حرب الحنيطي . استراتيجية الاقطاب والمراكز التنموية في عملية التنمية الاقليمية في الاقطار النامية ،مجلة المدينة العربية ،العدد ٣٧ ،مايو ، ١٩٨٩ ، ص٧٨ .

٩. صلاح حميد الجنابي . جغرافية الحضر ، اسس وتطبيقات ،مصدر سابق ، ص٤٢٤ .

١٠. فلاح جمال معروف العزاوي . تحليل لتطور مفهوم اقطاب النمو ،مصدر سابق ، ص٢٤٦ .

١١. المصدر نفسه ، ص٢٤٧ .

١٢. عبد الاله ابو العياش ، اسحق يعقوب القطب . الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص٥٣ .

١٣. حرب الحنيطي . استراتيجية الاقطاب والمراكز التنموية في عملية التنمية الاقليمية في الاقطار النامية ، مصدر سابق ، ص٨٠ .

١٤. صبيح يوسف طاهر . تحليل جغرافي لملامح الاستقطاب الحضري في اقليم مدينة الموصل ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد ٢٦ ، ١٩٩١ ، ص١٥٢ .

١٥. للتفاصيل انظر :

- O. Weerasingh. U.N. Inter Regional Advisor in Physical Planning Report on Regional Planning , Iraq, 1972 .
- Robinson , D. U. N. Regional and Metropolitan Planning Advisor Report. Appendix , 1972 .
- عبد الواحد حمود عبد الله . موقع وحدات التخطيط الاقليمي في الهيكل التنظيمي للتخطيط ، دراسة وتحليل امكانية اقامتها في بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص١٧٧ - ١٨٢ .

١٦. ابن منظور .لسان العرب المحيط ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، ص١٧٧ . وانظر : محمد بن ابي بكر بن عبد

القادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٧٩ ، ص٣٠٨ .

١٧. فلاح جمال معروف العزاوي . تحليل لتطور مفهوم اقطاب النمو ،مصدر سابق ، ص٢٤٢ .

١٨. المصدر نفسه ، ص٢٤٣ .

١٩. المصدر نفسه ، ص٢٤٤ .

٢٠. المصدر نفسه ، ص٢٤٤ .

٢١. المصدر نفسه ، ص٢٤٧ .

٢٢. المصدر نفسه ، ص٢٤٧ .

٢٣. المصدر نفسه ، ص٢٤٨ .

٢٤. حرب الحنيطي . استراتيجية الاقطاب والمراكز التنموية في عملية التنمية الاقليمية في الاقطار النامية ، مصدر سابق ، ص٨٠ .